

أطياف بيكيت المتجهمة تتحول إلى شخصيات بمزاج تونسي

«عذرا بيكيت» مسرحية تتوج الأسعد بن حسين على رأس الدراماتورجيا العربية



المسرحية نقلت الملل دون الشعور بالملل

معتبراً أن المؤلفين العرب استطاعوا الكتابة في أصعب الظروف، خاصة تلك المتعلقة بسيطرة بعض الرؤى الظلامية التي تجرّم المسرح والمسرحيين، فما بالك لو تفرّج الأمور أكثر وتكبر مساحة الحرية وتتسع الرؤية. وعلى المستوى الشخصي يكشف الأسعد بن حسين عن مشاريع قائمة سواء على مستوى الاقتباس من خلال مسرحية لبرنارد ماري كولتاس وأخرى بعنوان «المهاجران» للمسرحي البولندي سلافومير مروجاك، أو مستوى التأليف الشخصي، وذلك عبر مسرحيتين أيضاً واحدة بالعربية الفصحى وأخرى بالعامة التونسية، إلى جانب سيناريو مسلسل تلفزيوني وآخر سينمائي طويل.

الهزلي التجاري، أو المونودراما السطحية المبينة على القفشات والخالية من البناء الدرامي المحكم. ويعتبر القاص التونسي أن معاهد الفنون الدرامية مطالبة بتخصيص مساحة أكبر للكتابة المسرحية والاقتباس والنقد المسرحي في برامجها حتى تخلق جيلاً متميزاً من المؤلفين والنقاد، وهو يعتقد جازماً أن لا خوف على مستقبل الكتابة الدرامية والمسرحية بالأساس، باعتبار أن المسرح سيبقى من أهم التعبيرات الفنية للإنسانية عامة ومنها العرب طبعاً، وأن التراكم الذي حصل يجعل القادم أفضل. ويصن الكاتب على رؤيته التفاعلية إزاء الكتابة الدرامية في العالم العربي،

اللهاجة والمزاج، ينتج ويقدم أجناساً سردية مختلفة كالقصة التي له فيها ثلاث مجموعات، بالإضافة إلى المسرح والسيناريو السينمائي، وهو يحب أن يقع تقديمه أو الحديث عنه كقاص باعتبار عشقه لهذا الجنس الذي يعتبره من أصعب أجناس الكتابة لما يتطلبه من اختزال وتكثيف. وتجدر الإشارة إلى أن بن حسين، يعد من أنشط أبناء جيله من الكتاب، ودائم الحركة والتنقل بين ورشات الكتابة والملقبات، وعكس ما يذهب إليه الكثيرون، يعتبر أن الكتابة للمسرح لا تشهد أزمة سواء في تونس أو في بقية البلدان العربية، وأن الأزمة الحقيقية تتمثل في بعض الخيارات الفنية غير الصائبة كطغيان المسرح

«عذرا بيكيت»، وهذا الاعتذار ربما ينبع من مزج بعض المقاطع من مسرحيات مختلفة، أو لأن المخرج، كما يؤكد هو بنفسه، أجل حلمه بالاستغلال على بيكيت لسنوات طويلة ورأى في الاعتذار عن ذلك ضرورة.

يقول مخرج «عذرا بيكيت» إن البروفات على المسرحية انطلقت في أكتوبر الماضي لتستمر حوالي ثلاثة أشهر، إلى أن تمكن من عرضها جماهيرياً في الأسبوع الماضي. وعن مغامرة ترجمة وإعداد عوالم بيكيت وما تتطلبه من جهد ذهني مكثف، قال الكاتب الأسعد بن حسين لـ «العرب» إن الإشتغال على نص صار من كلاسسيكيات المسرح العالمي «نهاية اللعبة»، شرف كبير له، لكنها مغامرة محفوفة بالمخاطر، ذلك أن المقتبس يجب أن يكون مطلعاً على عوالم الكاتب الأيرلندي من جهة، وعلى أهم الاقتباسات السابقة له سواء في اللغة العربية كترجمة بول شاولوف أو في العامة التونسية التي وقع اعتمادها، علماً وأنه سبق لبعض الفرق التونسية الإشتغال على هذا النص بطروحات مختلفة.

تحديات مختلفة

اعتبر الكاتب التونسي أنه يحب مثل هذه التحديات، خاصة أنه وجد نفسه أمام مخرج مطلع على تجربة بيكيت ومالكا لرؤيته الشخصية في إخراج هذا العمل، لذلك تم عقد عدة جلسات حول النص ووقع الاتفاق على أن تكون المسرحية هي «نهاية اللعبة» وأن تحمل في ثناياها مقاطع صوتية مسجلة من مسرحيات أخرى لبيكيت تكون بمثابة حوار، وبين حسين، كاتب ومعد هذه المسرحية التي ترونها وتصنع الأحداث فيها - «تخصيات» وإن لم تحدث - «تونسية جداً» من حيث

احتضن فضاء الفن الرابع بتونس العاصمة منذ أسبوع، مسرحية استقبلها الجمهور بحفاوة مميزة رغم الأجواء المتلبّدة التي تجثم على المشهد العام... وربما، بسبب ما حمله العرض من مقاربة عميقة وسخرية قاسية من تلك «الأجواء الجائمة»، كان فيها صامويل بيكيت، هذه المرة، أقرب إلى قلوب الناس من أي وقت آخر.

عن نص اقتبسه الأسعد بن حسين من عمل للفرنسي برنارد ماري كولتاس، بعنوان «عند عزلة حقول القطن»، قرّر أن يتعامل معه في مشروعه، وكان الاتفاق بينهما، واستطاع المخرج أن يحصل على اقتباس أعجبه من حيث الوفاء لأفكار بيكيت ولأطروحات مسرح العبث التي لم يتنكر لها واقعا اليوم بل ازداد التصاقاً بها وتجسيدا لها أكثر من أي وقت مضى.

وإن انطلق عزيز في تنفيذ رؤيته الإخراجية فإنه ارتأى أن يكون هذا العمل عبارة عن لمسة وفاء لمسرحي عظيم هو صامويل بيكيت، وطلب من بن حسين أن يترجم مقاطع نصية من «في انتظار غويدو» و«الشريط الأخير» وأضاف المقتبس مقطعاً عن «المسرح» ورد في مسرحية أخرى لبيكيت هي «ارتجال في أوهيو»، وقد وافق عليه المخرج وتبناه دونما تردد، ذلك أنه يتناغم مع جوهر ما يريد الذهاب إليه في «تونس» بيكيت على الرغم من تعدده لاستخدام العبارة الإنجليزية «سوري» بدل «عذرا» العربية في ملصق المسرحية التي عرضت في فضاء «الفن الرابع» وسط العاصمة التونسية أمام حشد لاقت من الجمهور الذي احترق كل تدابير الرقابة والتباعد فبدا الحضور وكأنه جزء من سينوغرافيا العرض المبني أصلاً، على جدلية التفكير والتواصل.

وأمام المقترح النصي الذي قدمه بن حسين، صاحب الخبرة اللافتة في الترجمة والإعداد، اضطر المخرج، إلى تغيير عنوان المسرحية من «نهاية اللعبة» إلى «سوق سوداء» للمخرج علي الجياوي

حكيم مرزوقي
كاتب تونسي

تونس - «عذرا بيكيت» هو الإنتاج الأول لمركز الفنون الدرامية والركحية بمدينة أريانة، عن سينوغرافيا وإخراج لرمزي عزيز، بمساعدة أميمة المجادي وأداء عمار اللطيفي وأيمن السليطي وحمودة بن حسين ومنى بلحاج زكري، والنص كتبه القاص والسيناريست الأسعد بن حسين، عن جملة نصوص منفصلة متصلة، ومتوازية متقاطعة للأيرلندي ذائع الصيت، مؤسس مسرح العبث صامويل بيكيت، الذي تحيي الأوساط الأدبية والمسرحية هذا العام، الذكرى الحادية والثلاثين لرحيله.

الأسعد بن حسين
الاشتغال على نص من
كلاسسيكيات المسرح
العالمي، مغامرة خطيرة

رمزي عزيز
العنوان جاء نتيجة تأجيل
المستمر للاشتغال على
مسرح بيكيت

يقول الفنان المسرحي رمزي عزيز أن الإشتغال على مسرحية «نهاية اللعبة» لصامويل بيكيت، كان طموحاً شخصياً رافقه منذ فترة دراسته بالمعهد العالي للفن المسرحي بتونس، لكن هذا الحلم بقي مؤجلاً إلى أن وقع تعيينه منذ سنة على رأس مركز الفنون الركحية والدرامية بأريانة، حيث قرّر أن يكون أول عمل ينجزه المركز لبيكيت.

حلم تأخر

أكد عزيز في تصريح لـ «العرب» أنه تلقى محاولتين لاقتباس «نهاية اللعبة» لم تتألا إعجابيه، وحين شاهد مسرحية «سوق سوداء» للمخرج علي الجياوي

الجزائر تناقش افتراضياً مسار المسرح الأمازيغي

«الطوق والإسورة»
تنهي عروضها بعد مرور
ربع قرن على إنتاجها

وتدور أحداث «الطوق والإسورة» -المستوحاة من رواية للكاتب الراحل يحيى الطاهر عبدالله- في صعيد مصر، حيث يصور العرض معاناة الأسر الفقيرة التي تعيش الحرمان والخصاصة لتغدو ضحية الخرافات والخيالات الشعبية، ومن ثمة تحدثت تقابلات عديدة تجمع الماضي بالحاضر من خلال السينوغرافيا وثيمة العمل، لتسليط الضوء على معاناة المرأة المصرية الصاعدة في ظل السلطة الذكورية الجائرة ووقوعها ضحية العادات والتقاليد المتوارثة.

ناصر عبد المنعم
المسرحية قابلة للتجديد،
لارتباطها بالظرف
السياسي الراهن

وفي المسرحية برزت «فهيمة» كبطلة تراجيدية، تلقى حتفها بسبب الجهل والخرافة، وهي التي واجهت حياة قاسية وتحملت أوجاع أسرتها، كما أنها فشلت في زواجها وحملها من حارس المعبد، وغدر بها الشيخ هارون (رجل الدين)، كلها أحداث جعلتها تعيش حياة مأساوية مؤجعة.

واختار المخرج نهاية تراجيدية لعرضه، حيث جعل المرأة الضحية تواجه نظرة المجتمع الدونية، وبدلاً من تعاطف الناس معها لحل قضيتها اعتبروها رمزاً للناس في الوقت الراهن.

القاهرة - تنتهي، الأربعاء، عروض الموسم الأخير للمسرحية المصرية «الطوق والإسورة»، من إخراج ناصر عبد المنعم وبطولة الفنانة فاطمة محمد علي ومحمود الزيات، بعد عرضها على مدار ربع قرن في أكثر من مهرجان عربي. وقدمت «الطوق والإسورة» للمرة الأولى في الدورة الثامنة لمهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي في عام 1996، وحصل مخرجها عبد المنعم على جائزة أفضل إخراج في المسابقة الرسمية للمهرجان، وهي الجائزة الأولى لمصر في المهرجان، وتمت إعادة إنتاج العرض في عام 2018 ضمن الاحتفال باليوبيل الفضي للمهرجان التجريبي.

ويشارك العرض ضمن العروض المتناقسة على جائزة الشيخ سلطان بن محمد القاسمي في مهرجان المسرح العربي الذي نظّمته الهيئة العربية للمسرح في يناير 2019، وحصل على جائزة أفضل عرض عربي، لتصبح أول جائزة لعرض مصري في المهرجان. كما فاز العمل في عام 2019 بجائزة أفضل عرض مسرحي متكامل، في الدورة الحادية والعشرين لمهرجان أيام قرطاج المسرحية.

ويقول مخرج المسرحية ناصر عبد المنعم «على الرغم من مرور سنوات على إنتاج أول عرض للمسرحية، فإن «الطوق والإسورة» قابلة للتجديد والطرح في كل فترة، لارتباطها بالظرف التاريخي والسياسي في الوقت الراهن».

الباحثة الجزائرية أنه عرف من خلال مجموعة من الأعمال والشخصيات التي دأبت على ذلك، ومنها السعيد زعنون الذي ترجم العديد من الروايات الجزائرية والمغربية، وحولها إلى الأمازيغية وعرضها مسرحياً ضمن أصول مسرحية من خلال المسرح الإذاعي، بالإضافة إلى أعمال كل من الراحلين سليمان عازم والشيخ نور الدين الذين كانا يقدمان «سكائنات» (مواقف تمثيلية كوميدية) عبر موجات الإذاعة الوطنية (عمومية).

واستعرضت الباحثة أيضاً ضمن مداخلتها الافتراضية المجهودات التي بذلها عبد الله محيا في ترجمته للعديد من الأعمال العالمية، وعنه قالت «الترجمة عند محيا لم تكن مجرد ترجمة، بل تعدى ذلك وحرص على ملامسة واقع المجتمع الجزائري ذي الأبعاد الاجتماعية والثقافية والاقتصادية وغيرها، مع اعتماده طابع السخرية والتهمك، إذ لاس واقع بحدايقه، مركزاً على تطوير اللغة واللهجة القبائليتين بأسلوب سلس، وكان مصدر إلهام للعديد من الجمعيات والفرق المسرحية التي ركزت في أعمالها على المسرح الناطق بالأمازيغية».

وركزت فريزة شماخ في ختام مداخلتها على ضرورة التوثيق حفلاً للذاكرة الجماعية، من حيث الأعمال المسرحية أو الأبحاث الأكاديمية، لتكون مصدراً ومرجعاً هاماً للأجيال القادمة والمهتمة بحفظ ذاكرة المسرح الجزائري بشكل عام والأمازيغي بشكل خاص.

وهي في ذلك تدعو جميع المهتمين بالمسرح الأمازيغي إلى استنطاق المسرح بشئى أشكاله وألوانه وتوجهاته، على أن يكون الفن المسرحي ابن بيئته ومصدر إلهام لكل المهتمين، وأن يكون قاعدة هامة لملامسة الواقع بحدايقه.

خلاله الناس قرباناً لإله المطر (أنزار) - حيث يتم من خلالها تقديم فتاة حسناء عذراء ليكون إله المطر كريماً ويغدق على المنطقة وأهاليها بالغيث، ومع مرور الوقت تغير الطقس ليضحي مجرد احتفالية بلبسون فيه الدمية، وبسات ذلك الطقس رمزياً وتطور مع الرقصات والأغاني وغير ذلك من الأدوات الفرجوية».

وأشارت الباحثة الجزائرية إلى طقس آخر اشتهرت به محافظة جانت -تحديداً منطقة الطاسيلي- يدعى «السنبية» التي تعتبر تراثاً عالمياً منذ ثلاثة آلاف سنة، وهي اتفاقية سلام بين قبائل الطوارق في الصحراء الجزائرية، وتتخلل هذه الاحتفالية التي تمتد لأسبوع كامل آغان ورقصات يروون من خلالها الأمازيغية بطولات الطوارق منذ آلاف السنين مع تطور في الأزياء والماكياج والإقنعة.

كما تحدثت شماخ عن احتفالية «ايراد» التي تتواصل على امتداد شهر يناير من كل سنة، حيث تقام حفلة تكريمية بلبس فيها المحتفلون بإيراد -وهم الممثلون- أزياء خاصة مصنوعة من جلود الحيوانات، إضافة إلى الماكياج والأقنعة الخاصين بتلك الحفلة، وهي حفلة لا تزال قائمة إلى اليوم.

ومن بين الاحتفالات الأمازيغية يحضر أيضاً احتفال خاص بفصل الربيع، فيه طوقس منفردة وخاصة باستقبال الربيع، وهي نوع من السيناريو يقيم على مستوى الحقول والبساتين. وكل تلك الاحتفالات قد تناولها الأدب الشعبي، حيث حصرها في ثيمة الحكايات والأساطير، وجميع تلك المؤشرات أسهمت في تطور فن العرض الأمازيغي عبر العصور.

أما في ما يخص المبحث المتعلق بالمسرح الناطق بالأمازيغية، فقد ذكرت

وقرايين لألهة الإغريق، من حيث الرقص والغناء والإقنعة، وهي احتفالات كانت تقام في المعابد، ممهّدة بذلك للطقوس اللاحقة والتطورات عبر العصور التي رافقت الفن الرابع وتفرّدت به. واعتبرت شماخ في مداخلتها أنّ التعاقب الزمني كان عنصراً مهماً في حضور المسرح في كل ربوع العالم، ومن خلال ذلك تباينت الأشكال والطقوس والممارسات، ومن ثمة عرف شمال أفريقيا المسرح وكان يزرخ بكل تلك الطقوس.

وتقول شماخ «إذا تحدثنا عن منطقة القبائل فقد استعرضت فيها ومن خلالها العديد من الاحتفالات، منها احتفالية معروفة بـ«أنزار» -وهو طقس يقدم من



مسرح متجذر في هويته